

«حرب الناقلات» وألغازها



ثمة «ألغاز» كثيرة بحاجة للتفكيك حين يتصل الأمر بـ«حرب الناقلات» التي اندلعت مؤخراً في الخليج العربي وبحر عمان. معظم، إن لم نقل جميع الاتهامات التي توجه لهذا الطرف أو ذاك، تبدو من النوع السياسي، المتوقع سلفاً.

لا أحد لديه «رواية جازمة» تحدد المسؤول عن الاعتداءات التي طالت حتى الآن، ست ناقلات نפט من مختلف الجنسيات، ذلك أن «الفيديو» الذي أظهرته واشنطن بوصفه الدليل، لم يصف شيئاً، ولم يأت بأي حقيقة صلبة، حتى أن ألمانيا الاتحادية، شريكة الولايات المتحدة وحليفها، قالت بلسان وزير خارجيتها بأن «الشريط إياه» لا يثبت شيئاً.

مصدر الالتباس و«الألغاز» المتناسلة، إنما يعود لتعدد الأطراف التي لها «مصلحة عليا» في تصعيد حدة التوتر. إيران التي تختنق اقتصادياً بالعقوبات الأمريكية غير المسبوقة المفروضة عليها، لها مصلحة في إيصال الأزمة إلى حافة الانفجار. وأحسب أنها لن ترتضي بخيار «الموت جوعاً» وستفضل عليه خيار التصعيد والتوتر و«حافة الهاوية».

إسرائيل لها مصلحة «عليا» في التصعيد، فهي تخشى إيران وتخشى حرباً منفردة عليها، وتريد للأمريكيين أن يخوضوا غمار هذه الحرب نيابة عنها، حتى وإن اضطرت لخوضها من ورائهم وإلى جانبهم، لكن ليس قبلهم ولا أمامهم.

وحدهم العرب «حائرون» في خياراتهم، إن كانت لديهم خيارات أصلاً. هم لا يريدون الحرب لأن بلدانهم ستكون ساحتها الرئيسة، ممراً ومقراً للصواريخ والطائرات المسيّرة بدون طيار.

يبد أنهم لا يريدون المبادرة لتجريب خيار السلام والتفاوض وصولاً لبناء نظام إقليمي جديد للأمن والتعاون، سيما وأنهم هم أنفسهم عجزوا عن بناء نظام «قومي» صلب وفعال لمواجهة الأخطار والتحديات.

وذلك بدلالة حالة «الكساح» التي تصيب جامعتهم العربية، ومآلات الفشل التي انتهت إليها تجارب المجالس «الإقليمية». «كثيرون قرروا السير في ركاب واشنطن، حتى وإن قادتهم إلى قعر الهاوية وليس إلى حافتها فحسب.

لكن واشنطن على ما يبدو، ما زالت على موقفها المتردد في خوض غمار حرب خليجية ثالثة، والأرجح أنها تسعى في توظيف «حرب الناقلات» والاتهامات الفورية (السياسية حتى الآن) لإيران بالمسؤولية عن اندلاعها، لإجبار إيران على الجلوس إلى مائدة مفاوضات، حتى وإن بشروط أقل من تلك الاثنتي عشرة التي كشفها مايك بومبيو.

يبدو أن ترامب يريد اتفاقاً نووياً ثانياً مع إيران، يحمل اسمه بدل اسم سلفه باراك أوباما، الذي يسعى لشطبه نهائياً من «كتاب الرئاسات الأمريكية»، حتى وإن جاء الاتفاق معدلاً في بعض جزئيات و«مواقفته» لا أكثر ولا أقل.

لا ينبغي على دول المنطقة، العربية أساساً، إن تذهب بعيداً في رهاناتها على واشنطن، ولا أن تستمر في مساعيها لجرها إلى أتون حرب جديدة.

واشنطن لن تحارب من أجل أحد، وهي قد تفاجئ الجميع بإبرام صفقة شاملة مع طهران، لا نستبعد أبداً أن تكون على حساب العرب، والمؤكد أنها ستأتي - حال حصولها - من خلف ظهورهم.